18

أحفاد شهبندر !

قال سندباد :

كان اختفاء السفينة عجيبًا ومريبًا وباعثًا على القلق والخوف والحيرة؛ ولكن قلقنا وخوفنا وحيرتنا لم تلبث أن زالت وحل محلها عجب ودهشه؛ إذ لمحتُ كلبي " نمرود " مقبلًا من بعيد؛ فلم يكد يراني حتى وثب إليَّ وتعلق برقبتي وأخذ يلعق وجهى بلسانه؛ ثم نام على كتفي آمنًا مستسلمًا كما ينام الطفل على كتف أمه . . .

وكيف وصل نمرود الساعة إلى هذا المكان، وقد فارقتُه منذ عام أو أكثر من عام على بُعد آلاف الأميال من هذه الجزيرة ؟

ثم رأيت شخصًا مقبلًا من بعيد؛ فلم أكد أتبين ملامحه حتى اندفعتُ إليه صائحًا : صفوان ! يا عزيزي صفوان !

وكان أبو الإسعاد قد أوتر قوسه حين رآه مقبلًا من بعيد، ليرميه بسهمه؛ ولكنه رآني أندفع إليه باسطًا ذراعيَّ للعناق، فألقى قوسه وسهمه وظل واقفًا في مكانه ينظر إلينا في عجب ودهشة .

وقبل أن أفيق من أثر المفاجأة لمحتُ على الطريق ثلاثة شخوص تقترب، فهممت أن أسبق إليهم لأتبين أمرهم؛ ولكن صفوان أمسك بذارعي فردَّني إلى مكاني وهو يقول : انتظر يا سندباد . . .

ولكني أم أطق صبرًا؛ فاندفعت إليهم صائحًا : هلهال !

وسمعت أبي ورائي يهتف باسم جاسر، ثم يندفع إليه . . .

أما الشخص الثالث فكان " بلخير " زوج أختي قمر زاد . . .

يا لها من مفاجأة عجيبة ! كيف اجتمع هؤلاء الأربعة من أصدقائنا وأهلنا في هذه الساعة على أرض الجزيرة قبل أن نفارقها بساعات ؟

أهم الذين أخذوا سفينتنا وأخفَوْها عن عيوننا لئلا نبحر على ظهرها قبل أن يلقونا؟ فمتى وصلوا إلى الجزيرة ؟ وماذا كانوا يركبون ؟ وعلى أي شواطئ الجزيرة هبطوا ؟ وأين أخفوا سفينتنا؟

ووقفنا نتبادل القُبُلات والعناق، وعلى كل فم سؤال لا يجد جوابًا، والأصوات مختلطة متداخلة فلا يكاد يفهم أحدٌ من أحد حرفًا . . .

ولكن بلخير رفع صوته فوق أصواتنا وهو يقول : لا يجوز أن نترك قمر زاد تنتظر في قلق أكثر من ذلك، إنني ذاهب إليها . . .

فرد أبى ملهوفًا : قمر زاد ؟

ثم اندفع إلى بلخير فتشبَّث بذراعه قائلًا : نذهب إليها . . .

فتشبَّثتُ بهما قائلًا : أين تنتظر قمر زاد ؟

قال بلخير : لقد تركناها تحرس السفينة؛ فاتبعوني إن شئتم!

ثم مضى مسرعًا ومضينا وراءه حتى بلغنا شاطئًا آخر بعيدًا . . .

ولم تكن قمر زاد تحرس سفينةً واحدة على ذلك الشاطئ، بل سفينتين؛ ولم تكن وحدها في حراسة السفينتين، بل كان شخص آخر لا نعرفه ولا يعرفنا؛ فلم تكد قمر زاد ترانا مقبلين من بعيد حتى وضعته عن كتفها وأسرعت إلينا . . .

وأقبلتْ تحضنني وهى تقول فَرِحةً باكيةً أخي سندباد !

فانتزعها أبي من بين ذراعيَّ وهو يقول بحنان : ابنتي قمر زاد !

وأسرع بلخير إلى السفينة فحمل الطفل بين ذراعيه، ثم أسرع إلى أبي فدفعه إليه وهو يقول : حفيدك "خير" يا عمي، ابن قمر زاد !

وكف الطفل عن البكاء بين ذراعي جده، ورفَّت على شفتيه ابتسامة !

وشعرتُ بالسعادة تملأ كل جوانب نفسي، فقلت باسمًا : اليوم قد اجتمعت أسرة شهبندر جميعًا إلا ثلاثة نفر، نرجو أن يجتمع شملنا بهم في خير وسعادة ؟

قال صفوان ضاحكًا : إنهم أربعة نفر لا ثلاثة يا سندباد !

قلت : من تعني ؟

قال : ألست تعني شمس زاد ، وأمها ، وعمتها ؟

قلت : بلى !

قال صفوان : ولكنك لم تذكر عضوًا رابعًا من أسرة شهبندر، هو طارق بن صفوان !

قلت مدهوشًا : ابنك ؟

قال : نعم ابنى وابن أختك شمس زاد !

وقال جاسر : ما كان أجدر شهبندر بأن يكون جدًا لأكثر من حفيدين، لو أراد سندباد !

قال سندباد : وفهمتُ ما يعنيه جاسر، فأطرقتُ خجلًا؛ وقال أبى وهو يربت كتفي بحنان: هل تريد يا سندباد ؟

فلم أجب، وأجابت عني قمر زاد فقالت : ذلك أمل عزيز تنتظره عمتي مشيرة، وينتظره ولدي " خير " ، لتكون له بنت خال لطيفة رقيقة، تشبه أخي سندباد لطفًا ورقة !